

# ملخص النزعة العلموية

سلطان العميري



## ما هي النزعة العلموية ؟

تعرف النزعة العلموية بأنه الاتجاه الفكري الذي يقرّر بأن العلم التجريبي يمكنه أن يحقق كل ما يحتاجه الإنسان، وبأنه لا طريق للمعرفة إلا بالعلم التجريبي فقط، وأنه لا وجود لشيء لا يمكن إدراكه عن طريق التجريب. وأن العلم قادر على الإجابة على كل المشاكل والمعضلات وتقديم حلول لها .

فالنزعة العلموية **ليست قضية معرفية فقط**، وإنما هي مع ذلك **قضية وجودية**.

### هي حقيقة مركبة من أمرين

-٢-

حصر الموجودات في الأمور التي يمكن للعلم التجريبي أن يدرسها ويتحقق منها

-١-

دعوى أن العلم يمكن أن يعرف كل ما يهم الإنسان ، حصر طرق المعرفة الإنسانية في طرق واحد فقط



بدأ افتتان الغرب بالعلم التجريبي في القرن السابع عشر مع ظهور النظريات العلمية التي بينت خطأ الكنيسة من تصورات عن الكون والحياة ، ثم تطور مع توسع الاكتشافات العلمية.

بلغ الغلو في تقديس العلم المادي مبلغا عظيما في القرن التاسع عشر ، حتى صار الإله الجديد، ولقب هذا القرن بعصر عبادة العلم



## الأصولية العلموية

هي النزعة القائلة بأن العلم يمكنه حل المسائل

كلها

\_الفيلسوف روجيه جارودي



من أقوى التيارات التي نادت  
بضرورة إخضاع كل شيء  
للعلم حتى الفلسفة:  
**الوضعية المنطقية.**



أحدث الغلو في العلم  
التجريبي صراعات كثيرة مع  
الأديان، ومع الفلسفة التي  
أتهمت بقلّة النفع.



شملت سطوة العلم وتأثيره  
كل مجالات الحياة . وارتفعت  
النداءات لإعادة صياغة كل  
شيء وفق ما تملّيه  
الاكتشافات العلمية .

## أصول دعاوى النزعة العلموية



# الأصل الأول: الاستغناء بالتفسير العلمي التجريبي

يقوم الأصل الأول على الادعاء بأن

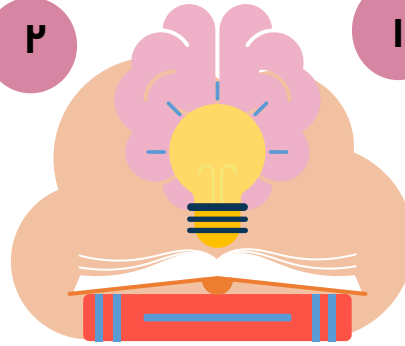
العلم التجريبي:

كشف الغموض عن  
أسرار عظيمة في الكون

فسر للإنسان الكثير  
من الظواهر الطبيعية

لا حاجة لمصدر آخر يفسر  
الكون ويشرح نظامه

قادر على كشف ما بقي  
خافيا من الظواهر والأسرار



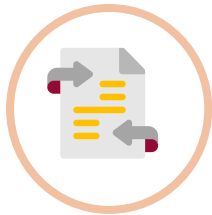
من أقدم من دعا للاستغناء بالتفسير العلمي مؤسس الوضعية المنطقية : **أوغست كونت**، الذي يرى أن كل الظواهر يمكن تحليلها علميا , ولا يوجد سبب يدفعنا للإيمان بوجود الله لسد فراغ ما نجهله.



ألف **هكسلي** كتاب "**الإنسان يقوم وحده**" لإثبات أن العلم يغني عن الإيمان بالله, ورد عليه **كريسي موريسون** بكتاب "**الإنسان لا يقوم وحده**" أو "**العلم يدعو إلى الإيمان**".



ما زال عدد كبير من الملاحدة المعاصرين يرون أن **العلم هو البديل الصحيح للأديان**.



## نقض الأصل الأول للعلموية

نقد النزعة العلموية لا يعني إنكار فضل العلم ولا التقليل من أهميته .





**معقد الخلاف** معهم ومحل الإنكار عليهم متعلق **بالنزعة التقديسية** المغالية لطبيعة العلم، التي تدعو إلى الاستغناء به وتفسيراته عن كل المصادر الأخرى، وتلزم بضرورة إخضاع كل الظواهر الإنسانية للمنهج العلمي التجريبي. وهذه الدعوة غير صحيحة وقائمة على أساس خاطئ.



زاد من قوة أثر ظاهرة  
نقد العلم **التطورات**  
**الجديدة** التي كشفت  
عن عجز العلم عن معرفة  
قضايا كثيرة من  
أسرار الكون.



صرح عدد من العلماء  
المعارضين للأديان  
والناقدين لها بأن العلم  
ليس المصدر الوحيد  
للمعرفة، وبأن **حصر**  
**الحقيقة في المنهج**  
**العلمي دعوى لا برهان**  
**عليها.**



شارك في نقدها كل  
**التيارات وأصناف مختلفة**  
**من العلماء والمفكرين**  
**والفلاسفة**، وحتى بعض  
كبار العلماء التجريبيين  
**كهنري بوانكاريه** (الممثل  
النموذجي لنقد العلم)،  
**ويسر دوهيم.**

## وجوه نقض الأصل الأول للعلموية

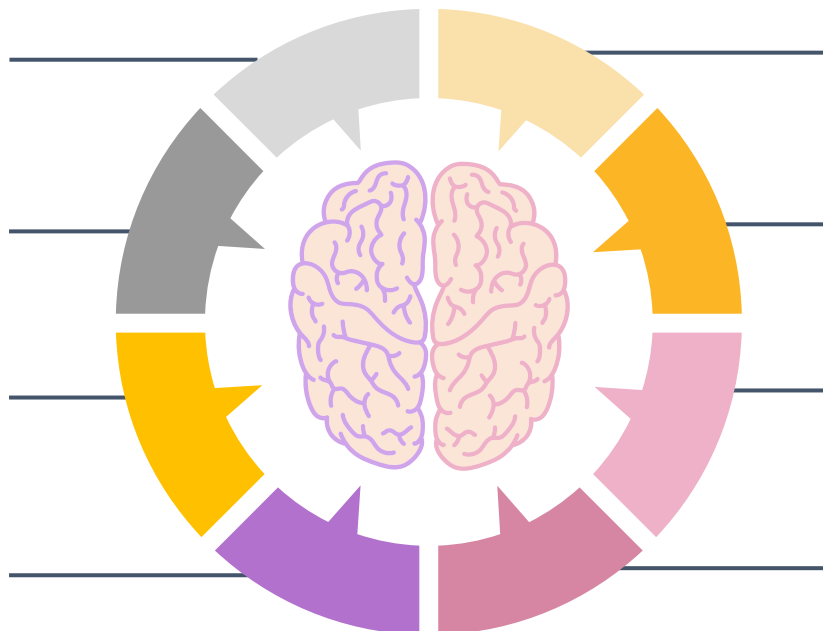
اختزال المكونات

الإنسانية الرحبة  
وتفكيكها

الخط بين النظرية  
ومدلولها

القفز الحكمي

الآثار المدمرة  
للعلم الحديث



العجز عن الإثبات

بطلان القاعدة  
المؤسسة

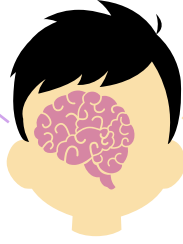
استقرار الاعتقاد  
بالقصور العلمي

افتراض التعارض  
الزائف

## العجز عن الإثبات

لإثبات أن العلم قادر على تفسير كل شيء، هناك طريقان:

الاستدلال بغير العلم، وهذا يناقض أصل الدعوى بأن العلم هو مصدر المعرفة الوحيد.

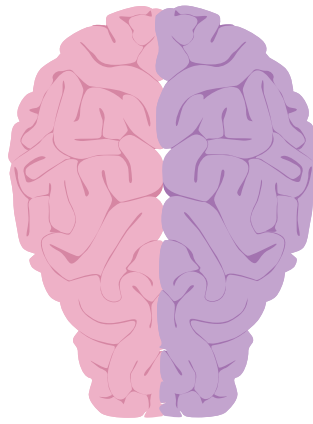


الاستدلال بالعلم وهذا خطأ منهجي كبير (أي الاستدلال على صحة الشيء بنفسه).

## بطلان القاعدة المؤسسة

### القاعدة الثانية

الوجود منحصر في الوجود المادي فقط . (سبق إثبات خلاها).



### القاعدة الأولى

مصادر المعرفة الإنسانية منحصرة في المدركات الحسية فحسب، وهو أساس غير صحيح ثبت بطلانه. (مثلا : المعرفة الإنسانية قائمة على المبادئ العقلية الأولية التي لا تستند إلى الحس في صحتها).

## استقرار الاعتقاد بالقصور العلمي

من الأمور التي يعجز العلم التجريبي عن الوصول إليها: القضايا المتعلقة بالأخلاق والمبادئ والقيم والغاية والتعليل، والفن [أقوال برتراند رسل، إروين شرودنغر، سير بيتر ميداوارا، جون لينكس].

العلم عاجز عن حل لغز ماهية المادة والقوة، وأصل الحركة، وأصل الإحساس البسيط، وحرية الإرادة.

ظهر التنبيه على قصور العلم التجريبي منذ القرن الثامن عشر (نيوتن).

كتاب "حدود العلم" لسوليفان للتأكيد على قصور العلم الإنساني.



## افتراض التعارض الزائف



هذا مجرد افتراض عقلي باطل، **فلا تعارض** بين تفسير العلم لكل شيء في الكون وبين الإيمان بالله تعالى، بل الإيمان بالله أصل لصحة تفسير العلم. **مثال** : لا تعارض بين معرفة أسرار الآلة وبين احتياجها إلى صانع، فالقول بوجود صانع ضرورة عقلية.



ينطلق أتباع النزعة العلموية من أن العلم قادر على تفسير كل شيء فلا داعي للإيمان بالله، وهذه مغالطة استدلالية ظاهرة لأنها قائمة على أنه لا وجود إلا لواحد من خيارين إما الإيمان بالله تعالى وإما الإيمان بالنزعة العلموية.

## اختزال المكونات الإنسانية الرحبة وتفكيكها



وجه غلاة النزعة العلموية مسار العقل الإنساني إلى المجالات التي يمكن للعلم البحث فيها، وإخضاعها للتجربة، وصرفوه عن بقية القضايا كالقيم والأخلاق وأسئلة الوجود، وهذا اختزال للحياة الإنسانية. (انظر قول **إدموند هوسرل**).

## الخلط بين النظرية ومدلولها المعرفي

❖ هناك **فرق سحيق** بين **النظرية العلمية** وبين ما يستنتج منها من **مدلولات** معرفية وفلسفية، فالعلم التجريبي لا يمدنا بفلسفة ولا بأحكام شرعية ولا بقيم أخلاقية.

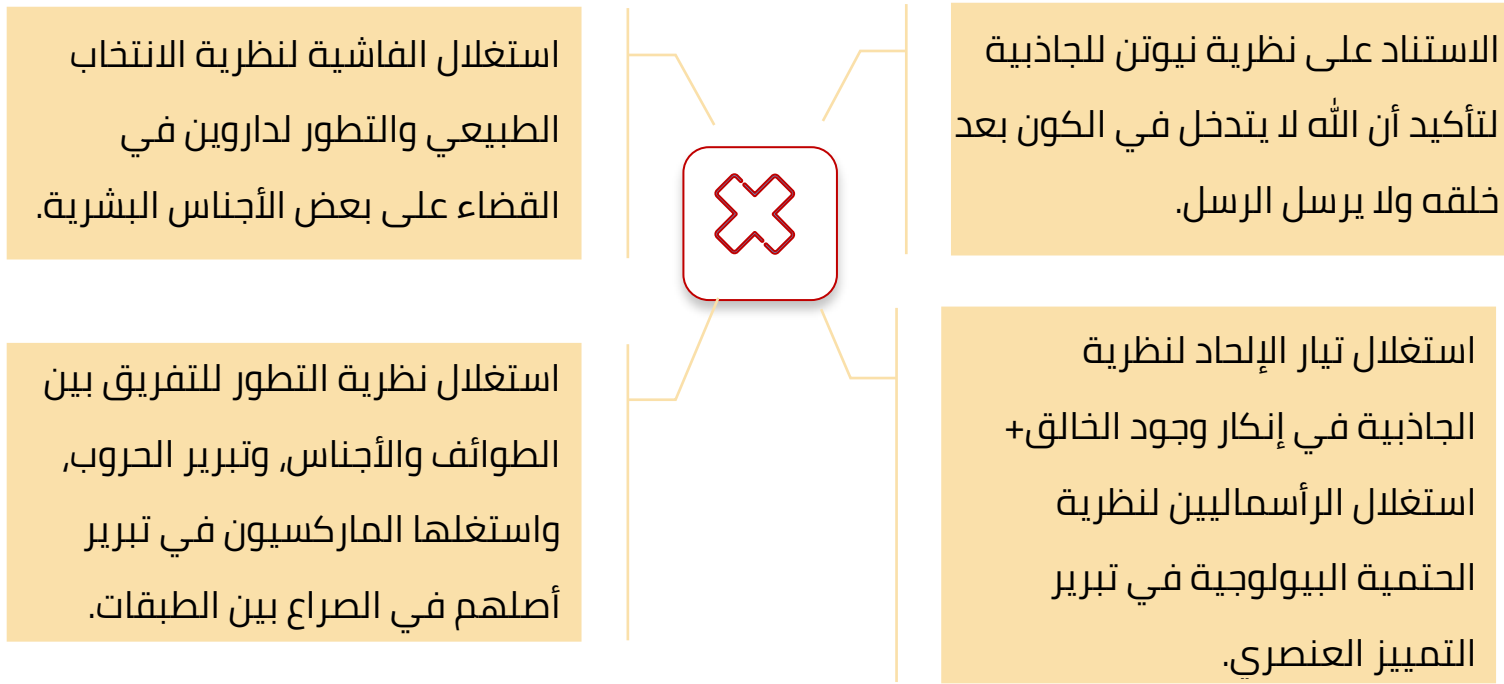
❖ ما يؤخذ من النظرية قدر زائد عليها خارج عن حقيقتها، وعن طبيعتها التجريبية العلمية.

❖ في المجال الديني والفلسفي لا نتعامل مع النظرية ذاتها بل مع فهم خاص واستنتاج عقلي معرفي لها.

❖ غلاة العلم يخلطون بين النظرية العلمية وبين ما استنبطوه منها، ويجعلون استنباطهم هو العلم ذاته. وهذا خارج عن المنهج المعرفي المنضبط.



## استغلت النظريات العلمية مع تأويلاتها المتعسفة استغلالاً خاطئاً



### القفز الحكمي

#### القفز الحكمي

الانتقال إلى النتيجة من غير أن يكون في مقدمات الدليل ما يستلزمها أو يقتضيها.

**غلاة العلم يؤكدون أن نظرية ما تدل على قولهم بإنكار الخالق، في حين أن النظرية لا تدل على ذلك.**

**مثال :** اعتماد بعض أتباع التيار الإلحادي على **نظرية الجاذبية** التي اكتشفها نيوتن في إثبات استغناء الكون عن الخالق.

وهذه النظرية عند التحقيق لا تدل على ذلك، **وغاية ما تكشف عنه طريقة سير الكون وعمله**، ولا تتعلق بمصدر الكون ومنشئه.

ولأجل هذا كان نيوتن مؤمناً بوجود الخالق – وهو بالضرورة أعلم بنظريته ومقتضياتها من غيره.

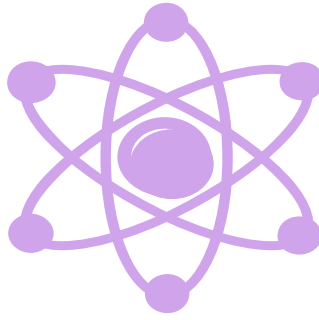
باتباع منهج الغلاة في الخلط بين نظريات العلم وما يستنتجونه منها , يمكن القول بأنه مع الأهمية الواضحة للعلم وما حققه من انتصارات, إلا أن له آثارا مدمرة ووخيمة أحدثت أضرارا في حياة الإنسان لم تكن موجودة قبله , **منها :**

التهام الغابات



الحرب وما ينتج عنها من آثار (التسميم ,  
التشويه , القتل [فضائع هيروشيما])

تهاوي القيم, وانتشار نوع  
من الحركة المدنية الكثيفة  
المثقلة بالمتاعب والأزمات



تسميم ماء الكوكب  
وهوائه وتربته (التلوث)



ظهور أمراض مستعصية  
العلاج وانقراض أنواع  
حيوانية



تجريد الإنسان من إنسانيته

لا بد من التأكيد على أن الدلائل السابقة إنما سيقّت بناء على التسليم بالمنهج الذي سار  
عليه الغلاة في العلم والالتزام التنزلي بالطريقة التي أقاموا عليها تمسكهم بالعلم.



غلاة العلم يستنكرون بشدة على كل من يستدل بآثار العلم المدمرة , ويقولون بأنه  
خلط بين العلم وتطبيقاته , وفي هذا تناقض منهجي كبير, وتنكر لمنهجهم.



كل ما سبق يؤكد أن المنهج العلمي لا يصلح وحده في قيادة البشرية, بل يجب أن تتحد  
وتتضافر مصادر أخرى معه لتحقيق الحياة الكريمة للإنسان .



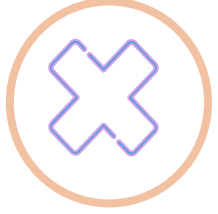


## الأصل الثاني: الاستغناء بالمنهج العلمي التجريبي

تقوم حقيقة الأصل الثاني على أن المنهج العلمي في البحث هو **الطريقة الاستدلالية العلمية الوحيدة** الصالحة لإقامة المعرفة والعلوم.



هذه دعوى خطيرة جدا كونها متعلقة بقضية منهجية خطيرة هي قضية الاستدلال ومنهج البناء المعرفي والفكري.



المنهج العلمي التجريبي متركز بشكل أساسي على المذهب الفلسفي الحسي، الذي تشكل بصورته الحديثة في القرن السابع عشر الميلادي، ثم تطور إلى صورته المكتملة في القرن الثامن عشر.

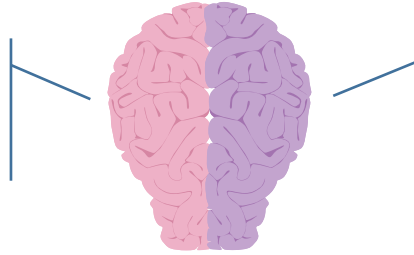


ذكر **بيرست** في كتابه "**أركان العلم**" أن المنهج العلمي هو الوسيلة الوحيدة للإنسان في حل كل مشكلاته في الحياة.



### مكونات المنهج العلمي التجريبي التي اعتمد عليها الغلاة في العلم

الاستغناء بالاستقراء "اللزعة  
الاستقرائية"

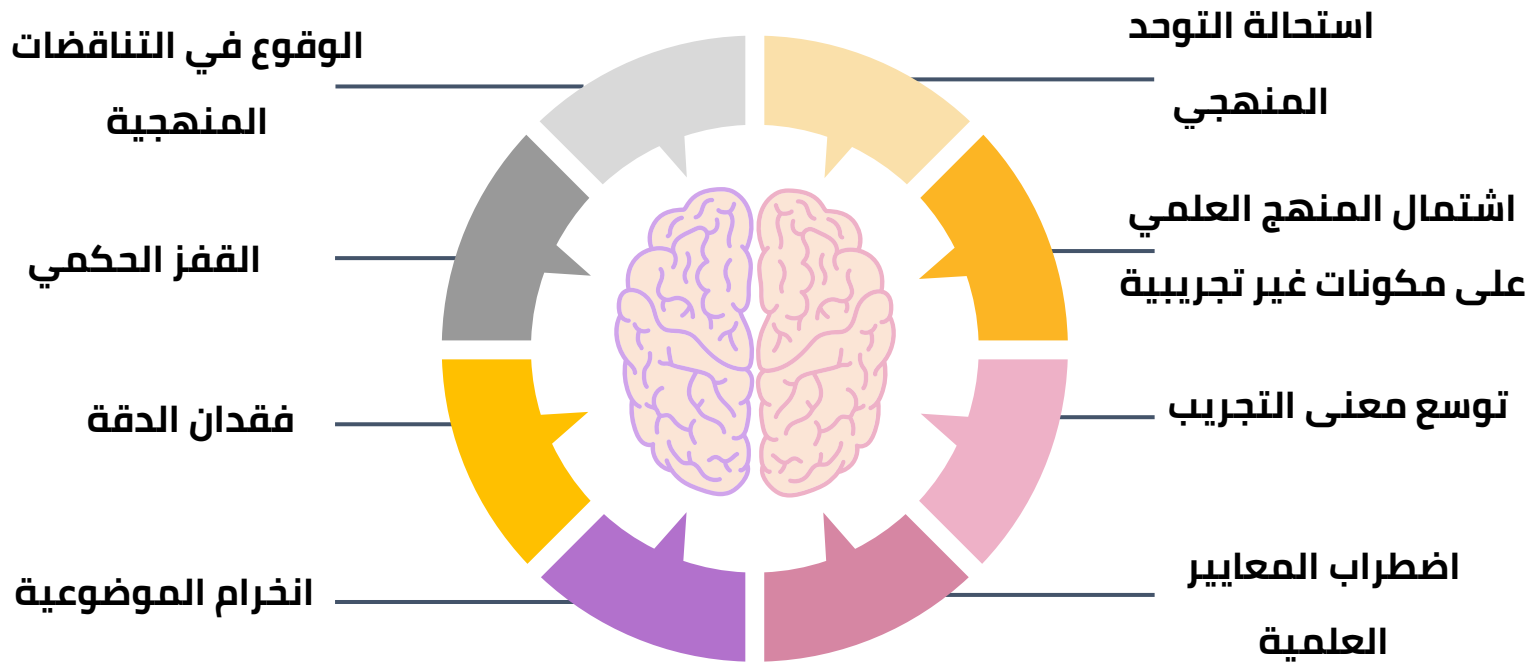


القابلية للاختبار والتجريب

### المكون الأول: القابلية للاختبار والتجريب

- ❖ الغلاة في العلم يكررون دائما بأن المنهج الاستدلالي لا يكون مقبولا صحيحا **إلا إذا كان قائما على التجربة والملاحظة**، وأن أي منهج لا يقوم على هذه الركيزة يعد منهجا باطلا خاطئا.
- ❖ يؤكد الغلاة أن منهجهم هو الوحيد الذي يتصف بالدقة والموضوعية لأنه لا يتأثر بالأهواء.
- ❖ خلصوا أن الأديان مجرد خرافات وأساطير لأنها لا تستطيع دخول مختبر التجارب.

هذه **الدعوى غير صحيحة**، وهي قائمة على أخطاء معرفية وتوصيفية عديدة. وإثبات ذلك بعدة أوجه:



## استحالة التوحد المنهجي

يدعي غلاة العلم إمكانية شمول نتائج العلم ومنهجه لكل الظواهر الكونية والإنسانية، وهذه دعوى باطلة .

فالحقائق الموجودة في الكون مختلفة في طبائعها ومتباينة في سماتها، ومنفصلة في ماهياتها، فالحقيقة الفيزيائية مختلفة تمام الاختلاف عن الحقيقة الإنسانية، والظواهر الإنسانية مباينة للظواهر الكونية، فمن المستحيل أن يوجد منهج واحد يستوعب كل تلك التنوعات ويشمل جميع تلك الاختلافات وحده.

أكد عدد من علماء فلسفة العلوم على أن العلم – المنهج التجريبي - لا يمكن أن يقوم وحده بدراسة كل الحقائق الوجودية المختلفة، ورأوا أن **المناهج العلمية تتنوع** بتنوع طبائع الظواهر وخواصها .



العلاقة بين العلم والفلسفة **علاقة تكامل وتبادل وتساعد** وليست علاقة تصادم وتبعية (تايلور وهويتهد).





ومن أشهر فلاسفة العلم الذين نادوا بتعدد المناهج العلمية، **الفيلسوف باومر فيير** **أيند**، وقد ألف كتابا أسماه "**ضد المنهج: مخطط تمهيدي لنظرية موضوعية في المعرفة**"، والفكرة الأساسية التي يقوم عليها الكتاب تتلخص في أن العلم لم يكن أبدا أسير منهج واحد محدد، وإنما عملت فيه مناهج متعددة اشتركت جميعا في تسيير عجلته وبناء هيكله.

## اشتمال المنهج العلمي على مكونات غير تجريبية

❖ **الفروض العلمية** التي يتوصل إلى كثير منها بالاستدلال والاستنباط ولا يمكن إثباتها بالتجربة. وقد انتقل العلم التجريبي من المنهج الاستقرائي إلى المنهج الاستنباطي الفرضي.

❖ أصحاب المنهج الفرضي الاستنباطي أكثرها من التنبيه على أهمية **دور الخيال والحدس** في المنهج العلمي

ليست كل مكونات المنهج العلمي مستخلصة من التجربة والملاحظة.

من المكونات غير التجريبية

إن **حضور الخيال والحدس** في المنهج العلمي يدل على أنه **ليس منهجا متمحضا في التجربة**، بل إنه يدل على إثبات أن المنهج العلمي خليط من أمور تجريبية وأمور ليست كذلك.



وجود **البعد التسليمي** في بنية المنهج العلمي يثبت أن فيه مكونات غير تجريبية.



## توسع معنى التجريب

لأن العلم لا يقتصر على ما تثبته التجربة، لم يجد المشتغلون في العلم من حل إلا في توسيع معنى التجريب، فجعلوا معناه شاملا لآثار الشيء المترتبة عليه.

**أمثلة:**

٢. الإلكترون ،  
٣. نظرية التطور

١. قانون الجاذبية ليس من القوانين التجريبية التي يمكن التحقق منها في المعمل، وإنما أثبت من خلال آثاره المشاهدة في الكون.

**الاستدلال على الشيء بآثاره** - طريقة صحيحة متسقة مع دلالات العقل السليم، وهو من أكثر المناهج العلمية المعتمدة في العلوم والمعارف الحياتية المعيشية، وهو معتمد على مبدأ السببية ومشتمل على الاستنباط العقلي الضروري.



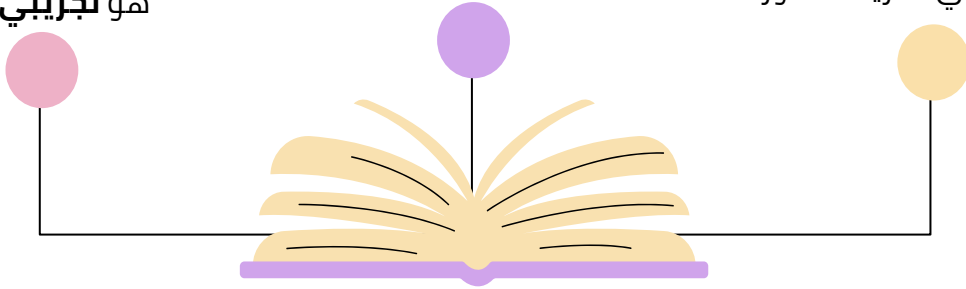
## مواطن إنكار هذا الاستدلال على المنهج العلمي



**التوصيف الخاطئ** لطبيعة هذا الطريق، فالاستدلال بالآثار على أسبابها في الحقيقة ليس طريقا تجريبيا محضا، وإنما هو **تجريبي عقلي** في آن واحد.

**اختزال تطبيقه**، بحيث يطبق على النظريات العلمية الطبيعية فقط، مع دعوى أنه لا ينطبق إلا عليها فقط.

**التطبيق الخاطئ** لهذا الطريق وعدم استيفاء شروطه ومقوماته، كما هو الواقع في نظرية التطور.



- ❖ الدين في تأسيسه لأصوله الكبرى يقوم على هذا المنهج، فالأدلة التي يستند إليها المؤمنون في إثبات وجود الله قائمة على الاستدلال بالآثار.
- ❖ يصف غلاة العلم المنهج المسلك لديهم بالعلمية والدقة، ولا يوصف منهج المؤمنين في إثبات وجود الله بذلك رغم أن الطريقة المتبعة في الاستدلال واحدة. وهذا **خلل منهجي** نبه له المفكر **وحيد الدين خان**، وليكونت دي نوي، وواين أولت، وميريت ستانلي كونجدين.

## اضطراب المعايير العلمية

**لم يتفق** العلوميون عند إعلانهم أن العلم هو الطريق الوحيد للمعرفة على **تحديد ضابط متقن** يميز **بدقة بين ما هو علمي وليس بعلمي**، رغم أنها قضية محورية في دعواهم، ووقع بينهم اختلاف شديد في ضبطها.



- بعضهم جعل ذلك راجعا إلى **إمكان التحقق التجريبي** كما فعل أتباع الوضعية المنطقية
- وبعضهم جعل ذلك راجعا إلى **إمكان التأكيد التجريبي**، وبعضهم ذكر غير ذلك
- من أشهر من أثار هذه القضية **أستاذ التاريخ وفلسفة العلوم ستيفن ماير**



## الوقوع في التناقضات المنهجية



كثير منهم يصف كل باحث توصل إلى نتيجة موافقة لرؤيتهم بالنزاهة والدقة والتعمق في العلم، ويقبلون ما جاء به من غير مراجعة أو توقف، وفي المقابل تراهم يصفون الباحثين الذين توصلوا إلى مواقف مخالفة لرؤيتهم بالتحيز والضالة في العلم، وتراهم يتشككون كثيرا في قبول ما جاؤوا به، ويعلنون التوقف عن قبوله، مع أن كلا الصنفين استعمل المنهج العلمي نفسه، واعتمد الطريقة نفسها في البحث والتدقيق.



بعضهم يصر على أن العلم يدل على إبطال الأديان ويحكم بطلانها، ولكنهم إذا رأوا المؤمنين يستدلون بالعلم على إثبات صحة الأديان **يعترضون عليهم**، بحجة أن قضايا الأديان لا تدخل ضمن ما يمكن تجريبه.



كثيرا ما يعيب غلاة العلم على أهل الأديان بأنهم يؤمنون بأمور لا تخضع للتجريب ولا يمكن التحقق منها، وفي الوقت نفسه **يقرون بمكونات علمية ومسلمات لا تخضع للتجريب والاختبار**، ولا يجعلون ذلك قادحا في علميتها ولا مقللا من قيمتها.

ليس السبب في هذا التناقض أن الدين في حقيقته يتعلق بميدان لا يقبل الأدلة العلمية، ولكن السبب الحقيقي في هذا التناقض هو أن معارضي الدين لا يريدون أن يستغل المؤمنون بالدين نفس المقاييس التي استخدمها هؤلاء لرفضه، لأنه لو تمكن المؤمنون بالدين من استغلالها استغلالا طيبا لاضطر المعارضون إلى أن يسلموا على الأقل بأن الدين قائم على أسس معقولة.

## القفز الحتمي

طبيعة المنهج العلمي عند التحقيق والتدقيق تقتضي **أنه لا يثبت ولا ينفي ما لا يمكن إخضاعه للاختبار والتجريب**، لكون هذه الأمور خارجة عن نطاقه الذي يمكن أن يعمل فيه، وأصول القضايا الدينية ليست مما يمكن إخضاعه للاختبار.



لكن نجد **غلاة العلم يقفزون على طبيعة العلم**، ويدعون أنه يدل على إبطال الإيمان بوجود الله وعلى نفي خلود الروح والغيب؛ بحجة أنها ليست مما يدخل تحت التجريب، وهذا منهم تجاوز للمقدمات بغير دليل وادعاء لنتائج لا يدل عليها تركيب الدليل وطبيعته.



غاية ما يمكن أن يوصل إليه المنهج العلمي – لو أردنا الاختصار عليه وحده- **وجوب التوقف عن الإثبات أو النفي في القضايا غير القابلة للتجريب والاختبار.**

ولكن **المشكل المنهجي** الذي وقع فيه الغلاة في العلم أنهم لم يقفوا عند هذا الحد، وإنما تجاوزوه إلى الادعاء بأن العلم يدل على نفي القضايا التي لا تدخل تحت التجريب، وهذا **قفز حكمي لا دليل عليه**، وهو في الوقت نفسه منافي لضرورة العقل؛ لأن **عدم إدراك الشيء بطريقة معينة لا يعني بحال عدم وجوده**، ولا يبرر بمجرد ذلك الحكم بعدمه.

## فقدان الدقة

هذه دعوى باطلة فالمنهج العلمي لا يختلف عن غيره من المناهج في الاختلاف بين مكوناته وضوحا وغموضا اتفاقا واختلافا بين أتباعه، ولا فضل له على غيره من هذه الجهة.



يدعي غلاة العلم أن المنهج العلمي يتصف بالدقة والوضوح، ويدعون افتقار المناهج الأخرى لذلك .

## انحراف الموضوعية

يدعي غلاة العلم أن المنهج العلمي موضوعي لكونه قائما على التجربة والملاحظة لا تدخله الأمور الزائفة.

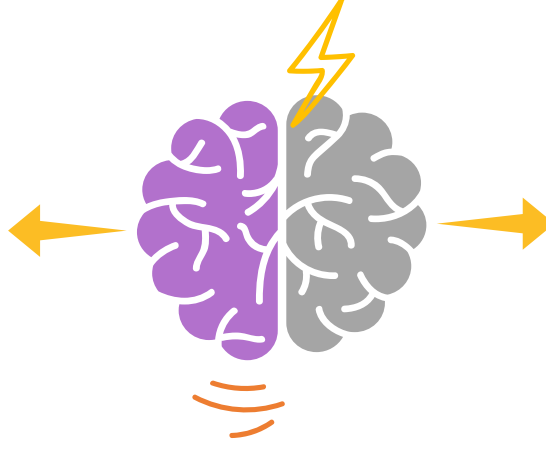
العلماء المشتغلون بالعلم التجريبي مثل كل البشر يمكن أن يتعرضوا للتعصب ومراعاة حظوظ النفس، والخروج عن الموضوعية.

مع التسليم بأن العلم فيه قدر كبير من الموضوعية والدقة، لكن الزعم بموضوعيته الخالصة غير صحيح، فالعلم التجريبي لا ينمو بنفسه، فكثيرا ما يكون لأفكار الباحث أثر على النتائج والتصورات، وللاتجاهات السياسية والتيارات الفكرية والأجواء الاجتماعية سطوة على مساراته ومكتشفاته.

ذكر **كونانت** أن الموضوعية والتجرد لم تكن ملازمة للعلم منذ أول نشأته، وإنما تطورت مع الأيام. و ذكر كيف لعب التعصب الفكري دوره في تقويم العلوم.

## من أمثلة التعصب الفكري في العلم

قلق العلماء المنكرين لوجود  
الله عند ظهور نظرية الانفجار  
العظيم.



تمسك عدد من ناقدَي الأديان  
بنظرية التطور رغم عدم  
امتلاكهم لأدلة صدقها، لأنه  
ليس هناك بديل لها إلا التسليم  
بالخلق الإلهي، وهُم لا يريدون  
الإيمان بذلك.

ثبوت التحيز في التفكير الغربي وتجذره في مشاهدته العلمية، **يناقض دعوى الموضوعية**  
الصارمة التي يدعيها الغلاة في العلم التجريبي.

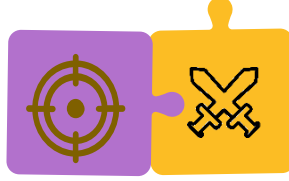


هو العلم الذي **يخضع للقوة السياسية** ويتوجه لخدمتها وتحقيق مصالحها.

### العلم الموجه

#### أمثلة:

**العنف** الممارس على الباحثين  
المخالفين لنظرية التطور  
(منشورة في فيلم "مطرودون")



**الاضطهاد** الذي مارسه الدولة  
الشيوعية على البحث العلمي.

لا بد من التنبيه على أنه ليس المقصود من الكلام السابق إثبات أن كل المنظومة العلمية  
منخرمة الموضوعية وأن جميع مكتشفاتها مشكوك في نزاهتها، وإنما المقصود **إثبات**  
**عدم اطراد ذلك في كل مشاهدته** كما يدعي الغلاة في العلم.



## المكون الثاني: الاستغناء بالاستقراء "النزعة الاستقرائية"

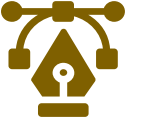
### الاستقراء

المنهج البحثي الذي يعتمد على الانتقال من عدد محدود من الحالات الخاصة إلى الكشف عن القوانين العامة.

نشأ الاهتمام بالمنهج الاستقرائي مع بداية عصر النهضة العلمية في القرن السابع عشر، مع فرانسيس بيكون.



أخذ كثير من الفلاسفة والدارسين يقابلون بين المنهج الاستقرائي على أنه **الممثل الوحيد للعلم** وبين المنهج الاستنباطي، على أنه الممثل للتخلف والخرافة.



استقر الأمر مع النزعة الاستقرائية على أن الاستقراء هو الطريق الوحيد للحصول على العلم الصحيح. من أشهر غلاتهم "**جون ستيوارت ميل**" الذي كتب كتاب "نسق المنطق" وكذلك **زكي نجيب** رائد الوضعية المنطقية في العالم العربي.



## تقويض المكون الثاني : الاستغناء بالاستقراء

لا بد من التأكيد ابتداءً أن النقد الموجه للنزعة الاستقرائية **ليس المقصود منه إبطال منهج الاستقراء من أصله**، وإنما النقد متوجه إلى النزعة الاستقرائية التي تزعم أنه **لا طريق للمعرفة إلا الطريق الاستقرائي فقط**.



من أشهر العلماء النقاد هنا : **كارل بوبر** و**دوهيم**

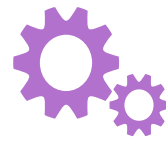
من أهم ما يكشف الخلل المنهجي للنزعة الاستقرائية:



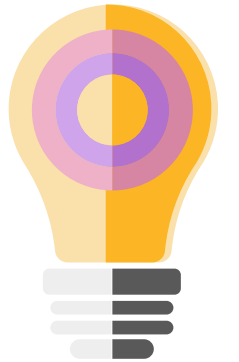
العجز عن الإثبات



تعذر الاستقراء  
الخالص



المناقضة لطبيعة  
المعرفة الإنسانية



## المناقضة لطبيعة المعرفة الإنسانية

**لا يمكن** للاستقراء وحده أن يقوم بكل ما تتطلبه المعرفة الإنسانية، لأن مصادر المعرفة الإنسانية ليست منحصرة في مصدر واحد، وإنما تتسم بمصادرها **بالتركيب والتداخل**.





## تعذر الاستقراء الخالص

المعرفة الإنسانية لا تقوم على مصدر واحد فقط،  
وأن الاستقراء الخالص الذي لا يقوم إلا على المواد  
الحسية غير متحقق الوجود بالفعل.

أكد كثير من العلماء الفرنسيين أنه لا بد من اشتراك  
الاستنباط المتضمن لتدخل العقل الإنساني في  
صناعة العلم.

من أقدم من اتخذ موقفا نقديا من النزعة  
الاستقرائية الفيلسوف **وليم هيوول**.

من أهم من نبه على الخلل المنهجي في النزعة  
الاستقرائية وأثبت بأن المعرفة الإنسانية جملة لا  
تقوم على الاستقراء وحده: **الفيلسوف هنري  
بوانكاريه**

من أشهر من أكد على استحالة  
وجود استقراء خالص الفيلسوف  
الفرنسي **كارل بوب**.

يصر الغلاة في العلم على تصوير المنهج العلمي  
بأنه منهج **استقرائي خالص**، ولكن **هذا التصوير  
غير صحيح البتة**، فالعلم التجريبي ليس مجرد  
انعكاس لصورة الواقع التجريبي فحسب، من غير تأثير  
بأي بعد آخر، وإنما هو في الحقيقة خاضع لتأثير عقل  
الإنسان وطباعه وقدراته وميوله ومواقفه وخياله.

## العجز عن الإثبات

الغلاة في المنهج الاستقرائي ينطلقون من إيمانهم بالمذهب التجريبي، ولكن هذا المذهب  
يستلزم بالضرورة القضاء على الأصول التي يعتمد عليها الاستقراء؛ وذلك أن حقيقة الاستقراء  
ترجع إلى إمكان التنبؤ بالمستقبل، والتنبؤ بالمستقبل يقوم على التسليم بمبدأ ثبات خصائص  
الأشياء واطراد التابع بينها، وهذه المبادئ لا يستطيع المذهب الحسي إثباتها، بل يستلزم  
إنكارها.

وقع أتباع النزعة الاستقرائية في مأزق معرفي شديد؛ إذ إنهم يأخذون بمنهج استدلالي  
ويحصرون طرق المعرفة فيه، وفي الوقت نفسه يؤمنون بأصول فلسفية تقضي على  
مبرراته ومستنداته.



## الأصل الثالث: الاختصار على تفضيل المنهج العلمي التجريبي

بعد تطور العلم في القرن العشرين، وتجلت معالم النقص في كيانه، وتراكمت الأسئلة والاعتراضات عليه، وأخذ عدد من الغلاة في العلم يتراجع عن دعواهم التي صمموها بها الآذان في القرن التاسع عشر وما بعده، من أن المنهج العلمي يتصف بالصحة الخالصة. فأخذ كثير منهم يقر بأنه ليس سالما من الإشكالات **وليس خاليا من العيوب، ولكنه مع ذلك يبقى أفضل المناهج وأقلها عيوباً وأكثرها دقة وثقة في النتائج.**



هذه الدعوى قائمة على **فكرة الشمولية المستحيلة**؛ إذ حقيقة هذه الدعوى أن المنهج العلمي أفضل منهج بحثي يستطيع أن يجيب على كل الاحتياجات الإنسانية، فلم يتغير في الدعوى العلمية إلا الانتقال من مرحلة الجزم إلى مرحلة التصريح بالأفضلية فقط.



**الحقيقة: أنه لا يوجد منهج واحد** يمكنه أن يلبي كل الاحتياجات الإنسانية، وإنما لا بد من **تضافر مناهج متعددة**، تشترك جميعها في تغطية أكبر قدر من احتياجات المعرفة الإنسانية. وهذه الأفضلية في تقديم المناهج البحثية على بعضها مندرجة ضمن **الأمر النسبية الاعتبارية**، التي تختلف باختلاف طبيعة الموضوعات. فالموضوعات الطبيعية لها مناهج محددة هي الأفضل في بحثها، والموضوعات الإنسانية لها مناهج محددة هي الأفضل في دراستها. فالجزم بأن منهجا ما هو المنهج الأفضل على كل المناهج البحثية الأخرى من غير اعتبار لاختلاف طبيعة الموضوعات التي هي محل البحث والدراسة ضرب في العمية وتعمق في الضلالة المنهجية.

الملخص لا يغني عن قراءة المقرر

